(«نيوزويك»، ٢٠/١٠/١٩٨٠). مع ذلك فلا يبدو حتى الآن، أن الحملة موجهة ضد منظمة التحرير الفلسطينية فقط، أو تقصر أهدافها على تشويه صورة المنظمة ومحاربة أي شكل من أشكال الاعتراف الرسمي بها أو التعاطف الشعبي معها. انما تبدو الحملة ذات أهداف ألصق بالتطورات الأوروبية نفسها، بما في ذلك هدف التأثير في الانتخابات القادمة، باعتبار أن ذلك من شأنه ان يحقق التأثير في تكوين أجهزة صنع القرار نفسها من الأساس، وهو هدف أعم وأكثر جذرية من محاولة التأثير في القرار نفسه.

لكن الأمر المؤكد أن الدوائر الصهيونية تلقت بالاهتمام والحماس «المطلوب منها» من جانب اسرائيل قرار مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي صدر عقب حادث الانفجار في المعبد اليهودي، والذي نص على انه «ليس بوسع المرء أن يميز بين معاداة الاسرائيلية ومعاداة الصهيونية ومعاداة السامية، أي معاداة اليهودية». وبالمعنى نفسه، كانت اتهامات مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي للحكومة الفرنسية بأنها «مسؤولة جزئيا عن الجريمة» على أساس أن موقفها المعادي لاسرائيل هو موقف مشجع على العداء لليهود، والاتهامات المماثلة التي أصدرها وزير خارجيته والتي عممها على دول السوق الأوروبية المشتركة.

ان عنصر التحريض الدعائي الواضح هو الذي يغلب على المعالجة «اليهودية» للأمر، بحيث يبدو أن هدف اسرائيل والقوى التي تعمل بتوجيهها في أوروبا الغربية هو بالتحديد تشويه سمعة الحكومات الأوروبية التي ترشح نفسها للقيام بدور في أزمة الشرق الأوسط تعتبره اسرائيل غير متطابق مع «مصالحها»، أو هو، على الأقل، تخويف هذه الحكومات واجبارها على الاقتراب أكثر الى الموقف الاسرائيلي. واذن فنحن بصدد سياسة «يهودية» لا تختلف في أوروبا عنها في الولايات المتحدة، في ظروف انتخابية عامة. واذا كان ثمة فارق أساسي بين المنطقتين فهو اختلاف حجم الصوت اليهودي في أوروبا الغربية (خاصة فرنسا) عنه في الولايات المتحدة. ذلك أن مقدار يهود فرنسا لا يتجاوز ٧٠٠ الف نسمة في مقابل نحو ستة ملايين يهودي في الولايات المتحدة. فضلا عن المواقع المؤثرة التي يحتلها «اليهود»، وبخاصة الموالين صراحة للصهيونية واسرائيل، في الدوائر المالية والاعلامية، ودوائر صنع القرار في الولايات المتحدة. وبالتالي فان الصهيونية ليست بحاجة للجوء في الولايات المتحدة، الى أساليب «تراجيدية» من النوع الذي لجأت اليه في أوروبا الغربية من أجل التأثير على الرأي العام في زمن انتخابي.

لقد زعم قادة المنظمات «اليهودية» في فرنسا، في ظل انفراج الحملة الأخيرة، انهم كانوا قد رفضوا، مؤخرا اقتراحا تقدمت به أوساطهم «بتنظيم الصوت اليهودي بهدف التأثير في سياسة الحكومة [الفرنسية] المؤيدة للعرب» (تعليق من باريس كتبه وليام فانس لصحيفة «انترناشيونال هيرالد ترتيبون»، ٩/١٠/١٩٨٠).

ولا يمكن تفسير هذا القول إلا بأنه تذكير بأنه لا يزال بامكان «الزعماء اليهود» في فرنسا «تنظيم الصوت اليهودي». فإنْ ما رفضوا اللجوء اليه في ظروف سابقة يمكن أن «يضطروا» الى اللجوء اليه في الظروف «الارهابية» الحالية.

يهود بريطانيا

وفي بريطانيا، وبينما عقد على التوالي المؤتمر السنوي لكل من حزبي العمال والمحافظين وسط جو شديد من التوتر سواء بالنسبة لحزب المعارضة (العمال) أو حزب الحكومة (المحافظين)، كان ثمة ادراك بأن «ارتفاع حرارة الحملة الانتخابية في أميركا، حيث للصوت اليهودي حسابه، قد ألقى برذاذه في صورة مناقشات دارت حول الزي السياسي لليهود في بريطانيا» (مقال كتبه وليام فرانكل في صحيفة «التايمز»، في ١٤/١٠/١٩٨٠). ويكشف هذا المقال عن أن «معهد الشؤون اليهودية» في بريطانيا نشر، في شهر آب (أغسطس) الماضي، تقريرا بحثيا عن مسألة الصوت اليهودي في بريطانيا، وهو ما يؤكد أن الظروف الانتخابية السائدة في أوروبا، بما فيها الظروف الحزبية في بريطانيا حيث يبقى على موعد الانتخابات العامة التالية أقل قليلا من ثلاث سنوات، هي موضوع اهتمام واسع وشامل من الهيئات «اليهودية»، في مختلف بلدان أوروبا بصورة لا تنفصل عن حملة انتخابات الرئاسة الأميركية التي نعرف انها تمتد لنحو سنة كاملة.